محمود درويش
(١٩٤١-٢٠٠٨)
الشعر وفلسطين... معا

أنشودة الموت

(إلى الغائب الحاضر محمود درويش)

□ محمود علي السعيد

من أين أبتدئُ العتابْ؟
هطلتْ على القلبِ المضرّجِ بالهموم
فجيعةٌ أخرى.[١]
صرختُ: كفاكَ يا قدرَ الرماية!
لم يعدْ في الريحِ متّسعٌ لمسطرةٍ
نقيسُ بها مسافاتِ الغيابْ.
محمودُ جَمَّعَ في حقيبةِ صمتهِ الشعريِّ
أنساغَ الفصولِ،
وأَوْدعَ التاريخَ أسئلةً
على إيقاعِ نبضِ جوابها.
ثلجُ الحقائقِ، في انتعاشِ حرارةِ العرسِ الفلسطينيِّ،
بالقبلاتِ ذابْ.
أنّى اتجهتَ تَراهُ يمسكُ مقودَ اللغةِ المعافى
مثلَ قرصِ الشمسِ في أحداقِ قريتهِ،
ويعطي للجهاتِ طقوسَها،
فيُطلُّ من قسماتِ أروقةِ الأصابعِ
ـ في احتضانِ المرمرِ الورديِّ ـ
بابْ.
محمودُ، يا وجعَ الخطابْ،
أيقظتُ أولَ مرةٍ
فيها يمرُّ على شغافِ الروحِ مبسمكَ الوضيءُ
بغصنِ ذكرى
كان يا ما كانْ
حتى بأصغرِ منْ قلامةِ ظفرهِ
بالدفءِ لم تبخلْ يداه
كي تهزجَ الأحلامُ فوقَ وسادةِ الآتي بأشرعةِ الغرامْ
أنقى من البلورِ يغدقُ
كلَّ ما ملكتْ يسارُ القولِ من فرحٍ على الخلاّنْ.
ماذا تقولُ لطارقِ الليلِ الوحيدِ
إذا أتى في البردِ يُقْرِئكَ السلامْ ؟
عن حاتمِ الطائيِّ يبحثُ عن أصالةِ جودهِ
تُغني جيوبَ القحطِ في طبقِ الصيامْ؟
ماذا تقولُ لصخرةٍ سقطتْ على صدرِ البلادِ فكَسّرتْ أضلاعَها،
ووصيّةٍ من عُمقِ جمجمةِ الخرائطِ
في تضاريسِ الحطامْ ؟
ماذا تقولُ وفارسُ الجبهاتِ نامْ
(حطَّ الحمامْ ..... طارَ الحمامْ)

حلب

محمود علي السعيد
شاعر من فلسطين

١ ـ الأولى: رحيل الغالي د. سهيل إدريس.